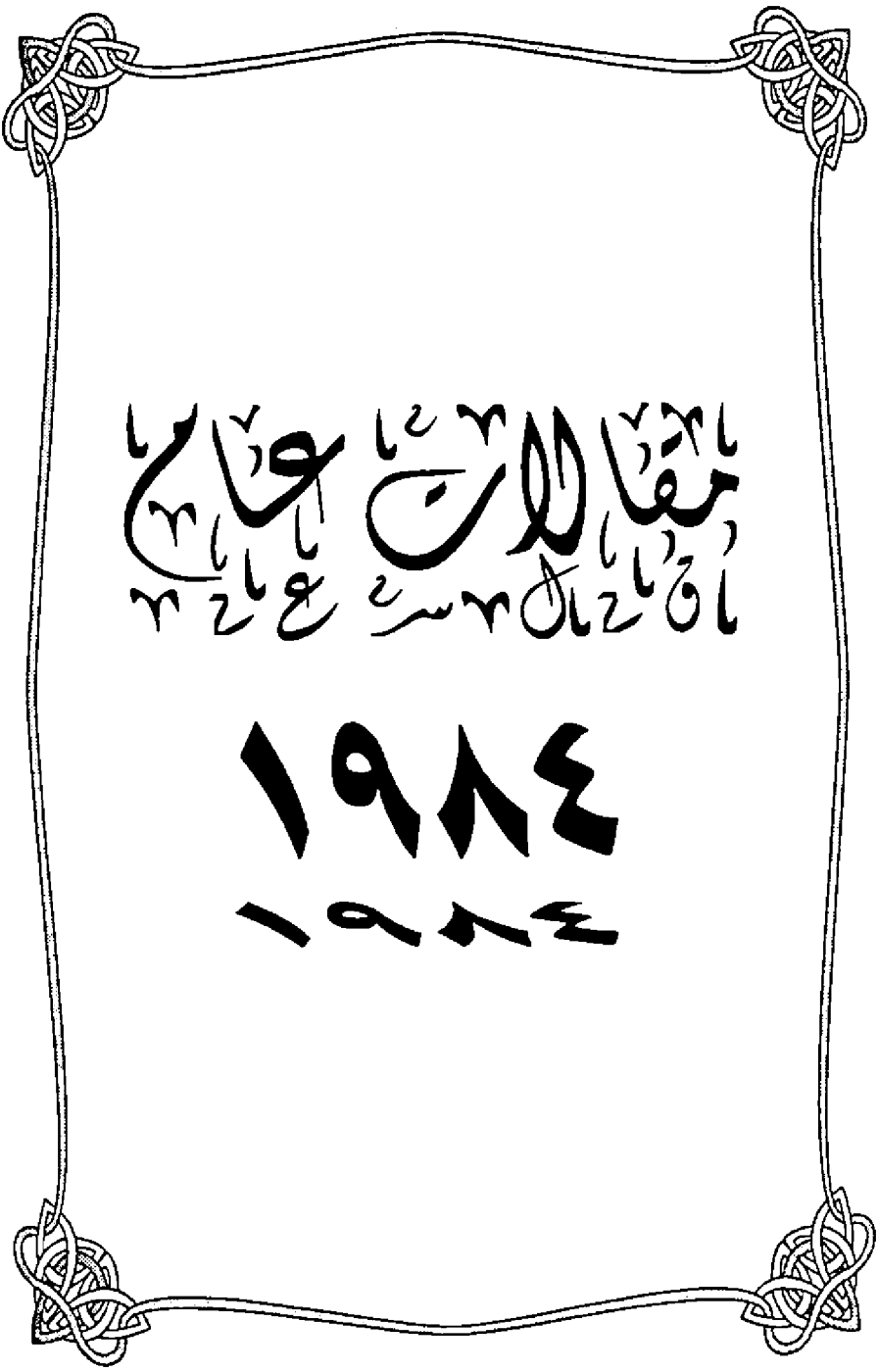
مقالات عام
١٩٨٤
١٩٨٤

## ٣٥- الوجه الحقيقي للاتحاد السوفيتي

قام الاتحاد السوفيتي، وجاء إلى الوجود سنة ١٩١٧م، وبقيامه أصبح في نظر الملايين من البشر نصير المظلومين، وأمل البائسين، وجنة المحرومين، ومطلب الباحثين عن الحرية والمساواة، والود والإخاء، كما أصبح العصا السحرية التي تزيل الفوارق الطبقية بين الطبقات المطحونة والثرية، وبين الأجناس المنبوذة والمحبوبة.. فلا فقير ولا غني، ولا أبيض ولا أسود، ولا أصفر ولا أحمر، لقد جاء بمجيئه العالم المثالي الجديد حيث يسود الحب والود والإخاء، وحيث لا حروب ولا صراعات ولا نزاعات، ولا استغلال مطلقا، وحيث الغد وبعد الغد أفضل من الأمس واليوم دائما، فالجميع يعمل من أجل خير الجميع.. فالأرض للجميع، والخير للجميع.. لا رئيس ولا مرءوس..

هكذا كان يبدو، أو هكذا كان يدعي ويظهر عندما قام في أعقاب الانقلاب الماركسي الذي قضى على حرمة الإنسان وعلى أبسط حقوقه، ولكن هل كانت هذه هي صورته الحقيقة؟ إن العكس هو الصحيح.. إنه موطن الحقد والكراهية، موطن الصراع والنزاع، بؤرة الفساد والفجور، مهد المادية والآلية، مرتع العنف والشجع، ميدان لشهوة القوة واستغلال القلة لمنفعة الأغلبية، وتحقير الإنسان واحتقار الإنسانية، والاتحاد السوفيتي مصدر التحكم والعدوان، والجبروت والطغيان، واستعباد الإنسان روحا وفكرا وجسدا وعملا، ومقتل العقائد والأديان، ومصرع الأفكار والأبدان، ومحبس الشعوب والملل والنحل..

إنه سوق للرقيق، وهتك الأعراض، والسخرية من حرمات الناس، لم تشهد البشرية مثيلا لها من قبل ومن بعد.. هذا هو الاتحاد السوفيتي الذي قام على دعائم

الكذب والخداع، وسار على درب الجبروت والاضطهاد، والقضاء على حرية الشعوب بالقوة والقهر، وما حدث **لأفغانستان** مثال حى لذلك..

ليس هذا ادعاء ضد الماركسية، أو عدوانا على الاتحاد السوفيتى، بل هذه هى الحقيقة السائدة فيه، كما تشهد بها أقوال زعماء الشيوعية، وواقعهم العملى، وكما يدل عليها الاتحاد السوفيتى، والأحوال السائدة فيه بما فعل وارتكب، ومازال يفعل ويرتكب، وما دعا إليه بإلحاح، وما زال يدعو إليه بنفس الإلحاح والإصرار.. إن هناك أشياء جوهرية عن الاتحاد السوفيتى - صاحب الثورة الأم كما يقول أحد زعماء الروس - لا تقبل الجدل ولا النقاش، لأنها حقائق ثابتة تعبر عن الأوضاع المتردية فى الاتحاد السوفيتى من الفوارق الطبقية، والدكتاتورية الماركسية، والتعقيدات الروتينية المتعفنة، وفيما يلى بعض من النماذج والأمثلة لذلك..

**الفوارق:**

إن الفوارق بين الناس من الشعوب المختلفة مازالت قائمة، بل هى أوسع بكثير مما كانت عليه قبل الماركسية، واستيلاء البلاشفة على زمام الأمور، فهى ليست مرهونة بجهد الفرد، وبحصاد هذا الجهد الفردى، بل برضاء المسئولين الماركسيين فى الحزب الشيوعى عن هذا الفرد، أو ذاك، وهو الرضاء المؤقت الذى لابد أن يتغير ويتبدل من وقت لآخر، لأنه لا ينبنى على أسس موضوعية للمصلحة العامة، بل على نزعات ورغبات شخصية بحتة لا تمت إلى جهد الفرد، وإلى حصاد الجهد الفردى بصلة، وهذا هو ما يجرى على مستوى السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى، وذلك فى الدول التى تحتلها روسيا، أو تدور فى فلكها، والتغييرات

التى تحصل فى **أفغانستان** على المستوى الرفيع يدلنا على ذلك.. ابتداء من "ترهكى" مرورا على أمين وكارمل، ووصولا إلى نجيب، والبقية تأتى..

حكى أحد الذين درسوا فى الاتحاد السوفيتى، وروى أن مخرجا مسرحيا هناك، كان قد نال شهرة عظيمة فى مجال الإخراج المسرحى، وكانت صوره تملأ الصحف والمجلات السوفيتية، وفجأة اختفى الرجل بعد أن جرد من جميع مناصبه، وذلك بعد أن تغير الرضاء المؤقت الذى كان يبديه له المسئولون فى الحزب الشيوعى، ولم يقدروا له شهرته الواسعة فى جهده الفردى، ولم يتركوا له فرصة حصاد هذا الجهد الفردى، لأن نزعاتهم قد تبدلت، فكان من الضرورى - بناء على ذلك - أن يجرد الرجل الناجح من مناصبه، وأن يختفى من على المسرح، وأن تتم ضده عملية التجريد والإهانة والتحقير..

إن عملية التجريد والتحقير والإهانة.. تجريد أى إنسان من مناصبه، وتحقيره، وإلحاق الإهانة به، فى الاتحاد السوفيتى أمر من الأمور اليومية؛ وهذا ما يجرى فى البلاد الأفغانية التى يحكمها الروس الأنجاس، ومن فى حكمهم من العملاء الأفغان.. والناس، والشعب، والطوائف ليس فى إمكانهم السؤال عن السبب، والاستفسار عنه.. وفى الحقيقة أن السؤال والاستفسار لا يغير من حقيقة الأمر شيئا، وما الفائدة من السؤال فى مثل هذه الأحوال والظروف التى يعيشها الناس فى الاتحاد السوفيتى، أو فى **أفغانستان**.. وهل إذا سألنا عن أسباب نزول الأمطار تتوقف الأمطار؟ ومن هنا نرى الناس هنا وهناك غير مهتمين بالاستفسار عن أسباب عمليات التجريد والتحقير والإهانة التى تجرى وتتم هنا وهناك وفقا لرغبات المسئولين فى الحزب الشيوعى..

كنت مدرسا فى كلية الآداب والعلوم الإنسانية فى جامعة كابل، وكنت مكلفا بتدريس الفنون الأدبية (فنون البلاغة الأفغانية مقارنة بفنون البلاغة العربية) فى قسم اللغة الأفغانية بجانب تدريس اللغة العربية لطلاب القسم نفسه، وقد تصادف أن قام وفد من طلاب قسم اللغة الأفغانية بإحدى الجامعات بالاتحاد السوفيتى (لا أذكر الجامعة) بزيارة جامعة كابل بالإضافة إلى القيام بزيارة المؤسسات العلمية والأدبية فى كل من كندهار ونكرهار وغيرهما من الولايات الأفغانية، وقد وقع الاختيار على أن يحضر هؤلاء الطلاب الزائرون محاضراتى فى الفنون الأدبية، وكان سرورى بذلك بالغا، نظرا لرغبتى واشتياقى الشديد إلى معرفة شىء عن فوارق الضغط والكبت المطبق على الطلاب فى الجامعات السوفيتية، وبخاصة على طلاب الجامعات فى الأقاليم الإسلامية.. ذلك الكبت الذى يفرضه أعضاء الحزب الشيوعى فرضا على الطلاب فى مراحل تعليمهم المختلفة.. وقد كان صحيحا كل ما كنت سمعته بهذا الشأن.. لقد كان هذا الوفد الطلابى الزائر كالهياكل من صلصال وكأنها أجساد منحوتة بطريقة فنية دقيقة بلا أرواح يحركها جهاز تحكم عن بعد.. كانوا يدخلون إلى قاعة المحاضرات مجموعة واحدة، لا أحد يلتفت يمينا ولا شمالا، يجلسون فى المقاعد الخلفية فى صف مرصوص متلاصق لكى لا يدخل ولا يجلس بينهم طالب أفغانى، مع أنهم كانوا يتمنون ذلك، ولكن رقابة الكبت والضغط كانت شديدة وصارمة، وخصوصا على طلاب الأقاليم الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى، وإذا كان لابد من التحدث فى موضوع ما فإن ذلك كان مسموحا لعدد محدود من الطلاب الروس فقط، لاحظت ذلك أثناء توجيه بعض الأسئلة التقليدية التى توجه عادة إلى طلاب الوفود الزائرة فى مثل هذه الحالات.. ولكن ليست هذه هى النقطة اللافتة للنظر.. إن

النقطة اللافتة للنظر عدم توافر الجرأة الكافية لدى الطلاب لأجل الاستفسار العلمى حول موضوع المحاضرة.. ما رأيت أحدا منهم رفع يده ليسألنى عن موضوع لم يفهمه أثناء الشرح، مع أن لسان حالهم كان يستفسر ويسأل عن أشياء كثيرة فى اللغة والأدب، وفى البلاغة والفنون البيانية عامة، ولكن جهاز التحكم عن بعد لم يكن يسمح لهم بالتعبير عن ذلك وتصويره.. فكان الصمت.. وكان السكوت..

**الطبقات:**

ادعاء.. لا وجود للطبقات فى المجتمع الماركسى فى الاتحاد السوفيتى، أما عمليا وفى واقع الأمر فإن الحزب الشيوعى نفسه يكون طبقة أرستقراطية، لأعضاء الحزب امتيازات ليست لغيرهم من أفراد الشعب، وداخل الحزب نفسه تتفاوت هذه الامتيازات.. فمن هم فى قمة الحزب لهم مساكن خاصة، ومحلات خاصة، وأسعار خاصة، ومعاملة خاصة، يحرم على غير الرفاق دخولها لشراء ما يحتاجون إليه من المأكل والمشرب والملبس، بل لهؤلاء الذين على قمة الحزب الشيوعى من أعضاء اللجنة المركزية، أو المكتب السياسى، أو غيرهم من أعضاء المخابرات الرئيسيين، والمناصب العليا فى الدولة، هؤلاء لهم شوارع خاصة لا يسمح لغيرهم بالمرور فيها ولا بالتمتع بمناظرها الجذابة..

وقد انتقل هذا النظام الطبقى الشيوعى بحذافيره إلى **أفغانستان** مع سيطرة الشيوعيين على الحكم فى كابل على إثر التدخل العسكرى السوفيتى المباشر فى **أفغانستان**، واحتلاله المدن الرئيسية فيها، وبناء على نظام امتيازات الطبقة الخاصة نجد فى المدن الأفغانية أحياء راقية لا يسمح بالسكونة فيها إلا للروس الأنجاس ومن

فى حكمهم من الأفغان فى الحزب الشيوعى الأفغانى، وفى لجنته المركزية، وفى المخابرات الأفغانية (الخاد) لهؤلاء المحتلين الروس، ولأعوانهم من الأفغان مساكن خاصة، محلات خاصة، وأسعار خاصة لا يسمح لغيرهم بالدخول ولا بالشراء..

قامت النظرية الماركسية على أساس استبداد ودكتاتورية الطبقة العاملة، وكان الغرض منه - كما يدعى الماركسيون - حماية الطبقة العاملة من الرأسمالية واستغلالها، ولكن مع مرور الزمن وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية قامت قوانين التأمين الاجتماعية ضد أعداء الإنسانية.. الفقر والجهل والمرض.. وبخاصة ضد البطالة والمرض، وشملت معظم بلاد العالم الحر، ولو عاش ماركس إلى اليوم، وشاهد كيفية تطبيق هذه القوانين الاجتماعية فى العالم الحر، لتراجع عما دعا إليه من الاستبداد والدكتاتورية.. النظرية الماركسية إذن ليس لها مكان فى عالم اليوم، ويجب أن توضع فوق رفوف أرشيف التاريخ، وليس هناك أى مبرر لوجودها فى عالمنا اليوم..

إن الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى، وفى غيره من بلاد العالم الشيوعى يحكم باسم الطبقة العاملة، أو الكادحة كما يحلو له ذلك، فهل الحزب الشيوعى يمثل العمال أو يرعى مصالحهم حقيقة؟..

إن حياة الطبقة العاملة فى الاتحاد السوفيتى أسوأ بكثير من حياة العمال فى كثير من بلاد العالم غير الشيوعى، ومن جهة أخرى فإن الحكم ليس للطبقة العاملة فى روسيا الشيوعية، بل لدكتاتورية الحزب، واستبداده المطلق. وبهذه المناسبة أذكر باختصار قصة سيدة إنجليزية مشهورة.. هذه السيدة كانت زوجة لعالم بريطانى معروف، اعتنق الشيوعية، فاعتنقتها معه، ثم سافرت إلى الاتحاد السوفيتى، وقضت فى موسكو ثلاثة شهور، عادت بعدها إلى لندن، لتطلق

زوجها، وتطلق الشيوعية معه بمجرد وصولها إلى عاصمة بلادها لندن، وذلك بعد أن زالت عن عينيها غشاوة الوهم الشيوعي، واتضحت لها الحقيقة ساطعة، فكتبت تقول: كل ما يقوله أو يفعله أى مواطن سوفيتي يكمن وراءه وعي واضح بأن الحزب الشيوعي يراقبه، ويتجسس عليه، ويسجل له. وهذه هي الحقيقة، فكل كلمة يقولها المواطن السوفيتي، أو يكتبها، أو ينشرها يرصدها الحزب الشيوعي بدقة جيدة، وعند اللزوم يقوم بإشهارها، ليكون سلاحا في وجه من قالها، أو كتبها، أو نشرها، حتى ولو كانت في مصلحة الحزب الشيوعي..

**الإلحاد:**

في جامعات الاتحاد السوفيتي، ومعاهده العلمية والفنية لابد للطالب الجديد أن يقضي السنة الأولى في دراسة مادة الإلحاد، وإنكار الذات الإلهية، ولا يمكن أن يسمح له بالاستمرار في الدراسة إلا إذا نجح في امتحان هذه المادة على وجه الخصوص. والغرض من دراسة هذه المادة هو تجويف الإنسان بإخلائه من كل القيم السامية التي تدعو إليها الأديان السماوية لكي يتسنى له أن ينخرط بعد عملية التجويف في سلك الشيوعية الجوفاء، لأنه مع وجود هذه القيم يصبح من الصعب أن يجرد الإنسان من آدميته وإنسانيته لكي يصير عجلة في آلة تدور دون أن يكون لها رأى، أو إرادة، أو اتجاه معين بالنسبة لدورانها.. فمن متطلبات وأسس الشيوعية أن يتنازل الإنسان عن حريته، وأن يسلم كيانه لغيره يفعل به ما يشاء، وكيف يشاء، هذا الأمر جزء من العقيدة الشيوعية نفسها، ولذلك فمن كان شيوعيا ثم كفر بالشيوعية لا يستطيع أن يعود إلى ما كان عليه قبل اعتناقها،

بل يظل بقية حياته مختل الكيان والفكر معا ﴿**كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران**﴾ متوزع قلبه بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال..

**فقدان الوعى:**

كتب الكاتب الفرنسى "اندريه جيد" بعد عودته من الرحلة التى قام بها إلى الاتحاد السوفيتى يقول: "إذا اضطر الإنسان أن يطيع أمرا صدر إليه فهو على الأقل يشعر بأنه ليس حرا، ولكن إذا أعد الإنسان بطريقة أو بأخرى بحيث يطيع حتى قبل أن يصدر إليه الأمر فسوف يفقد وعيه بعبوديته، وهذا أسوأ ما يمكن أن يصيب البشر، ولكن هذا هو حال الأجيال الجديدة التى نشأت فى ظل الاتحاد السوفيتى.. سوف يدهشها لو قال قائل لها: إنها فقدت حرية التفكير- سوف لا تصدقه أبدا، بل ستعارضه بشدة وعناد رغم أن هذه هى الحقيقة، ولكنهم مع الأسف لا يشعرون بها"..

وفى نفس المعنى تقريبا كتب الكاتب الإيطالى "جنازيو سيلونى" يقول: "وأنا فى موسكو قضيت يوما بأكمله أحاول أن أشرح لإحدى مديرات دار النشر التابعة للدولة كيف يعيش الكتاب السوفيت فى حالة من التخويف والبلبلة الدائمة، وكيف أنه من واجبها كمسئولة كبيرة أن تضع حدا لكل هذا، لم تستطع فهمى على الإطلاق، فمضيت أشرح لها.. قلت فيما قلت: الحرية إمكانية الشك.. إمكانية الخطأ.. إمكانية البحث والتجريب.. إمكانية أن يقول الإنسان: لا.. أحيانا.. لا نعم طول الوقت.. إمكانية.. ولكنها لم تجعلنى أتم كلامى، قالت مقاطعة، وهى تنظر حواليها فى حذر.. لا.. لا يا سيدى.. إن ما تدعو إليه هذا هو الثورة المضادة"..

إن الشيوعية ينقصها ركن هام من أركان أى فكر من الأفكار، وهى فى أمس الحاجة إليه.. هذا إذا كنا سنعتبرها فكرا، وليست حصيلة ظروف اجتماعية خاصة زالت بزوال أسبابها، وانتهت بانتهاء عللها ومسبباتها، هذا الركن الهام الذى تفتقر إليه الشيوعية، وأمها الماركسية الداعرة هو احترام الإنسان.. واحترام فكره، وحقه فى التفكير، والتعبير عنه بحرية.. لذلك فإن من الطبيعى فى غياب هذا الاحترام خداع الإنسان والعبث بفكره، والتغرير به، والعدوان عليه، وإبادته جسدا وروحا، فكرا وعقلا، قلبا وقالبا، دون تحفظ أو حساب، ودون وخز من الضمير، أو تأنيب من القلب.. فإذا فقد الإنسان احترام الناس أصبح كل شىء فى نظره سهلا ميسورا، جائزا مقبولا، حسنا مرغوبا، مبررا مبرهنا، دون الحاجة إلى البحث عن الأسباب والدلائل الأخرى..

ومن هنا كانت الدكتاتورية ضرورة، وتخويف الجماهير وإرهابها ضرورة، وتصفية الأجيال الكاملة جسديا ضرورة، والعدوان على الشعوب والدول ضرورة، واحتلال البلاد بالقوة ضرورة، وكتم أنفاس الأحرار الثائرين ضرورة.. ضرورة من أجل ماذا، ولماذا؟ لا أحد يعرف حقيقة هذه الضرورة، ولكن هكذا يقول القادة الروس الأنجاس، وكل ما يقولونه لابد وأن يكون صحيحا وصدقا وعدلا، لأن خطأهم صواب، وكذبهم صدق، وظلمهم عدل، واعتداؤهم إنصاف.. هم أصحاب سوق الرقيق، بيدهم الأمر، كل الأمر، هم أصحاب السلطان والصولجان.. فالقول الذى يخالف ما يقولون سيصيب صاحبه وقائله الأذى والعذاب مع العقاب والنكال، لا أحد يستطيع أن يدرك عالمهم الخاص الذى يعيشه من يتعاطى الأفيون، والمواطن السوفيتى قد تعاطى أفيون الشعوب، وهو الشيوعية، كما قدموها له، فالشيوعية تلهبه وتسعده وتشقيه، وتعجزه عن

الحركة والتفكير فى الاتجاه الصحيح، ولكن مع هذا لا غنى له عنها، بعد أن جوعوه وجرعوه بجرعاتها القاتلة، وتم له إخلاؤه من كل القيم والمبادئ والأخلاق، فأصبح أسير نشوة غريبة مجهولة مهلكة تسير به إلى حيث يريدون، وإلى حيث يرغبون، هو لا يدرى ولا يملك أن يدرى إلى أين يسير، وأين يدور.. مسكين هذا المواطن السوفيتى الذى يعيش فى وهم الشيوعية، ويموت من رعبها، ورعب سياطها الملتهبة.. وهو مسلوب الفكر والإرادة، مكتوف اليدين بحبال الشيوعية العنكبوتية الماكرة، فاقد الوعى والإدراك..

كتب "اندريه جيد" يقول: "أشك فى أنه فى أى بلد من بلاد العالم، وحتى فى ألمانيا الهتلرية يمكن للفكر أن يقيد، وأن يصبح ذليلا.. خائفا.. جبانا.. خانعا كما هو الآن فى الاتحاد السوفيتى". إن الفكر الإنسانى فى الاتحاد السوفيتى مقيد بالسلاسل، مخنوق الأنفاس، مخلوع الجناح، مرعوب متردد، خائف حتى من ظل نفسه.. خائف من أهله وأقاربه المقربين..

والعجب فى الأمر أن عادة فقدان الوعى، وتصفية الأجيال، والتخوف من الظل والوهم والخيال، والعدوان على الآمنين، وشل حركة التفكير، وإخلاء الفرد من كل القيم والأخلاق، قد جاءت إلى **أفغانستان** مع من جاءوا إلى سدة الحكم فى كابل من الشيوعيين الأفغان والمحتلين الروس الأنجاس، حكى لى أحد الإخوة الأصدقاء وكان أستاذا بجامعة كابل، أنه جاءته رسالة من أحد أصدقائه فى أحد البلاد العربية، وكان زميله أثناء الدراسة فى إحدى الجامعات المصرية، فوضعته المخابرات الأفغانية (الخاد) تحت المراقبة اليومية بسبب هذه الرسالة التى كانت باللغة العربية، وفرضت عليه أن يثبت وجوده فى كابل بالحضور يوميا إلى إدارة المخابرات كل صباح ومساء، بالإضافة إلى الرقابة التى فرضت عليه أثناء وجوده

فى الجامعة، وعلى أولاده فى المدارس، ومنعوا جميع من الزيارات واللقاءات العائلية إلى أن يسر الله له الهجرة إلى بشاور، والالتحاق بركب الجهاد هناك بعد أن ذاق الأمرين بسبب هذه الرسالة التى وصلته من صديق عربى قديم له من أيام الدراسة الجامعية، وقيدته، وقيدت حريته فى التنقل داخل مدينة كابل، وفى العمل داخل الجامعة، وفى التحدث إلى الإخوة الأصدقاء، وفى اللقاء مع غيره من أهل عشيرته وقبيلته، وأهل بلده.. وأصبح منزله سجنا يراقب بشدة.. كل من يتجه إليه، أو يخرج منه، وأصبح بيته تحت الحصار الشديد خلال هذه الفترة، وكانت إجراءات التفتيش والمراقبة تزداد شدة وتعسفا، كلما شوهد شخص غريب يدخل منزله الذى تم وضعه تحت حراسات مشددة، ويتعرض الشخص الغريب لمضايقات من رجال المخابرات الأفغانية (الخاد) الذين يقومون بتسجيل تحركات كل من يزوره قريبا كان أو غريبا..

### أسوار من الوهم:

من أسوار الوهم العجيبة، ومن جدران الخوف أو التخوف الغريبة التى يقيمونها فى الاتحاد السوفيتى حول سوق الرقيق حجب المعلومات وإخفاؤها عن الناس، وعلى وجه الخصوص المعلومات والأخبار الخاصة بحرية الفكر، والتقدم العلمى فى البلاد الأخرى فى العالم الحر، وبالأخص الأخبار والمعلومات الخاصة بالعالم الإسلامى المحيطة بروسيا الشيوعية.. دخل أحد السياح الأجانب مدرسة فى مدينة موسكو، فوجد التلاميذ ضعافا يتكلمون الإنجليزية والألمانية بركاكة غير مقبولة، ولما سألهم عن السبب أجاب أحد التلاميذ.. منذ عدة سنوات كانت هناك بعض الأشياء التى كان يمكن تعلمها من أمريكا وألمانيا، فكانت الحاجة تدعو إلى

إجادة لغتى البلدين، أما الآن فنحن لسنا بحاجة إلى تعلم أى شىء من الأجانب، لذلك فما الداعى لأن نتعلم لغاتهم؟ إنها لإجابة غريبة كما نراها إلا أنها ضرورة يقوم المسئولون فى المدارس، وفى غير المدارس بتلقينها للتلاميذ للاستفادة منها فى مثل هذه الحالات من الضعف العلمى واللغوى..

يكتب زائر أجنبى آخر عن تجربة فى أحد معاهد العلم فى الاتحاد السوفيتى يقول: "... الأسئلة التى وجهوها إلىّ كانت أغرب من الخيال.. قال أحدهم وهو عامل فى العشرين من عمره متعلم ومثقف: هل عندكم مدارس فى باريس؟ وعربات الترام أيضا؟ وأتوبيسات؟ ولما قلت لهم: إن الناس خارج الاتحاد السوفيتى يعرفون عنه أكثر مما تعرفون أنتم عن العالم الخارجى، فلم هذا؟؟ أجاب أحدهم: أن صحيفة برافدا تزودنا بالمعلومات الكافية، وفجأة صاح طالب آخر مفاخرا: لكى ندون كل الأشياء والإنجازات العظيمة الرائعة التى تتم فى الاتحاد السوفيتى ليس فى العالم كله ورق يكفى لهذا"..

إيهام ما بعده إيهام، وتلقين متقن دقيق، إن هذا الإيهام بأنه ليس فى العالم أجمع ما يمكن أن يقارن بالاتحاد السوفيتى، وبما يتم فيه من الإنجازات الهائلة ينتشر عن قصد وعمد وتلقين، ويغذى بدقة متناهية فى جميع مجالات الحياة هناك، فمن المهم لدى الحكام والمسئولين فى الحزب الشيوعى الروسى أن يشعر كل مواطن روسى بالولاء والعرفان للنظام الذى يحميه من أضرار الحياة فى بلاد العالم الأخرى، والمعلومات الخاصة بتلك البلاد نوع من الضرر الخطير يجب حجبها عن الرفيق فى روسيا الشيوعية، ومن هنا تكونت لدى المواطن السوفيتى عقد التعاظم والكبرياء الفارغة التى تجعله يشعر ويعتقد أنه وحده على حق، بل وأميز الناس والشعوب كلها، وعند ما يصبح هذا يقينه فى معتقده يصير لزاما عليه أن يلجأ إلى

العدوان على كل ما لا يتفق معه فى هذا المعتقد الباطل، وعلى كل من يختلف عنه فى الرأى، وهذا بالضبط ما يريده السادة السوفيت فى قصر الكرملين، فما الفرق بين القادة السوفيت والقادة الفاشيست؟؟ وبناء على هذا المعتقد السوفيتى الفاشيستى كان العدوان على الشعب الأفغانى..

ولكن ليس هذا كل ما فى الأمر فى الأوطان التى تعيش فى ظل النظم الشيوعية الماركسية.. فالرأى الواحد، أو عدم الخروج عن الخط المعين من أهم معوقات المجتمع الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى، وفى غيره من بلدان العالم الشيوعى، وفى هذا يقول الكاتب الفرنسى "اندريه جيد": "فى الاتحاد السوفيتى كل إنسان يعرف مقدما أنه بالنسبة لأى موضوع هناك رأى واحد فقط.. وهذا يجعلنى أتساءل: هل هؤلاء هم الذين صنعوا الثورة؟ لا، إنهم المستفيدون من الثورة، ففى كل صباح تلقنهم جريدة الحزب - برافدا - ماذا ينبغى أن يعرفوا.. وكيف يفكرون.. وفيم يعتقدون.. فلا خروج عن الخط، وإلا... وهكذا فى كل مرة أتحدث إلى سوفيتى واحد أشعر بأنى أتحدث إلى الشعب السوفيتى بأكمله.. وحتى فيما يسمونه بالنقد الذاتى.. تجد أنه لا يخرج عن التساؤل: هل هذا يتمشى مع الخط أو يختلف عنه؟ أما ما هو الخط نفسه فلا أحد يجرؤ، أو حتى يخطر بباله أن يستفسر عنه، أو يناقشه، أو يذكره مجرد الذكر"..

فالرأى والكلمة والأمر والنهى للحزب الشيوعى السوفيتى فى روسيا الشيوعية، والسلطان والملك والعزة للجنة المركزية فى كل الشئون، وفى كل الأحوال، لا يشاركها فى ذلك رأى آخر مهما بلغ من الحكمة والمعرفة، ومن النضج والحنكة مع المهارة فى أمور السياسة والحزب ﴿**مثل الذين كفروا بربهم۞ أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ۞ لا يقدرون مما**

**كسبوا على شيء...﴾** فأمثال هؤلاء لا قيمة لآرائهم وأفكارهم فى نظر الرأى الواحد فى البلاد الشيوعية عامة، وفى الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة، فما قبله من آرائهم وضعه فى موضعه، وما رفضه منها كان صاحبه فى خطر الطرد، إن لم يكن فى خطر التصفية الجسدية، وهذا موقف معروف ومألوف فى الاتحاد السوفيتى، وفى **أفغانستان** فى هذه الأيام، وإن بحثت المسألة فى البلاد الشيوعية الأخرى لوجدت الموقف نفسه سائدا وسائرا على أصحاب الآراء المعارضة إن وجدت، أو سمحت لهم بالوجود..

**قوة كبرى:**

نعم، قوة كبرى، وقوة مدمرة.. إن بعد ما قلت ونقلت وهو قليل من كثير.. لا يمكن لأحد من الناس أن ينكروا أن الاتحاد السوفيتى قوة كبرى، قوة مدمرة، قوة هائلة، ألحقت الدمار الخراب والهلاك والهول والرعب بأهل **أفغانستان**، وبأهل غيرها من الشعوب والبلدان ﴿**وجعلوا أعزة أهلها أذلة**﴾ ولكن هذا ما لا يعنينا فى هذا المقام، إن الذى يهمنا ويعنينا فى المقام الأول هو الفرق بين الآراء والنظريات والقيم والسلوكيات.. فعلى مجموعة من النظريات، أو حتى بدونها يمكن أن تبنى قوة تعيش وترعب الشعوب، وتدمر البلاد فترة من الزمن قصيرة أو طويلة، ثم تهرم وتموت وتفنى، وكأنها لم تكن شيئا مذكورا، لأن الإنسان واحترام فكره وحريته لم يكن فى حسبانها، أما بالقيم والسلوكيات والخلق القويم فأنت تبنى صرح حضارة قد تنقصها القوة بمعناها المادى المدمر، ولكنها لا تموت أبدا، لأن ومضة الإنسان، ولمسة الإنسان، وقدرته المعنوية، وفكره الجبار، وحريته

فى التفكير والتعبير والتصوير لا تعرف الطريق إلى الفناء والهلاك.. هذا هو الفرق أو الفروق الفكرية بين الآراء والنظريات وبين القيم والسلوكيات..

**قانون الشيوعية:**

قوة كبرى، ولكنها كاذبة مخادعة بنت قوتها على الكذب، ومخادعة الشعوب والدول، والكذب أمر مشروع فى الشيوعية والماركسية، لأنها تنكر شيئا اسمه القيم الخلقية، وترى جازمة أنها لا قيمة لها ما لم تكن خادمة لمصالح الدكتاتورية المستبدة، وقد جاء فى كلام لينين: "نحن نخرج على جميع الأخلاق والآداب التى تنفصل عن المجتمع البشرى وطبقاته. نحن نرى أنها زيف وتضليل لعقول الفلاحين والعمال من قبل الملاك، وأصحاب الأموال. نحن نخرج على جميع الأخلاق والآداب بمعنى واحد، وهو المعنى الذى يدين به البرجوازيون أن يستمدوا الآداب والأخلاق من أوامر الإله"..

جاء ذلك فى خطبة إلحادية طويلة ألقاها فى مؤتمر الشباب الشيوعى، وألح فيها بإصرار على هذا المعنى الإلحادى، وكرر الزراية والعتاب على البرجوازيين الذين يستمدون مبادئ الأخلاق، وقواعد الآداب من الدين الإلهى..

منذ أكثر من عشرين عاما تقريبا كان فى كابل موظف شيوعى، وقد تمكن من الفوز بعضوية البرلمان من دائرته فى ولاية ننكرهار أيام النظام الملكى البائد فى **أفغانستان**، وكان يخطب فى اجتماعات الشيوعيين ولقاءاتهم فى كابل ويقول: إن فكرة الإله الخالق ليست إلا من رواسب الماضى البعيد.. وعند ما شاهده أحد معارفه فى قريته وهو يؤدى الصلوات الخمس جماعة فى مسجد القرية، سأله قائلا: إنك تنكر وجود الله، فكيف تصلى وتعبده فى المسجد؟ فقال: أقسم بالله

الذى لا وجود له.. إنى أصلى على غير وضوء، نظرا لقرب موعد الانتخابات النيابية.. وهذا يتطلب منى ذلك..

ومادام قانون الشيوعية الكاذبة يقرر أن الأخلاق إنما هى لخدمة الماركسية الكاذبة، فإن الكذب والخداع ليس جريمة، ولا أمرا غريبا على الشيوعيين وعملائهم، ولكن الطريف هو تفننهم فيه، وقدرتهم الفائقة على خلقه، واستخدامه وتلفيقه بالأبرياء.. وللشيوعيين فى **أفغانستان** افتراءات وأكاذيب تفوق الخيال..

**النظام الدموى:**

قضت المقادير أن يشهد الشعب السوفيتى حياة دامية وإرهابية على يد نظام جاء إلى الحكم باسم الطبقة الكادحة، ولكن خاب أمله فيه، إذ فوجئ بما هو أشد وأنكى مما شاهده فى الماضى.. ما كاد لينين أن يجلس على عرش القيصر فى روسيا، حتى تبينت نزعته الشريرة، وظهر تعطشه الشديد للدم المسفوك.. دم المسلمين وغير المسلمين.. ففى سنة ١٩١٨ م تعرضت له فتاة من الحزب الاشتراكى الثورى، فأطلقت عليه النار، وكان يكفى إعدام الفتاة، لكن لينين وجد فى هذا الحادث مبررا للفتك بأعدائه، فتم إعدام خمسمائة شخص من الأشخاص البارزين رميا بالرصاص، بغرض التخلص من أبرز أعدائه وخصومه، وإرهاب الآخرين منهم..

و لما جاء ستالين كان من همه أن يتخلص من الكثيرين، وأن يرهب الباقين على نحو ما فعل لينين، وحدث أن اغتيل حاكم لينجراد سنة ١٩٣٤م، وكان من أقرب أصدقائه، هذا الحادث أطلق رغبة ستالين، فأقام المحاكم والمحاكمات

العسكرية، قدم إليها المئات بتهمة الخيانة الوطنية، بحيث جعلت لرعب يهز كيان الشعب السوفيتي من أعماقه، قتل فيها أكثر من سبعة آلاف شخص ظلما، وبتهم ملفقة.. فقد انفجر سخط ستالين في حركة جنونية كل همها هو إلقاء القبض، والمحاكمة والإعدام والإرهاب..

وفي **أفغانستان** لم تنتشر الشيوعية لأنها مذهب صالح، ولا لأنها مسلك إنساني، ولا لأن دعاتها من ذوي السمعة الطيبة، ولا لأنها قدمت لمن اعتنقوها وعاشوا في ظلها رفاهية لم تتوافر لغيرهم، لا لشيء من ذلك على الإطلاق، ولكن أسباب انتشارها في **أفغانستان** غير هذه جميعا.. فقد أنفقت الدول الشيوعية وبخاصة الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية، والأحزاب الشيوعية في كل من إيران وباكستان والهند في الدعاية لها أموالا طائلة، وبجهودات ضخمة، ومساعدات هائلة، حتى تمكنت من وضع قدمها في كابل، وبالتدخل السوفيتي المباشر تمكن الشيوعيون الأفغان من الوصول إلى سدة الحكم في كابل..

أقام الشيوعيون في كابل مجازر ومذابح للقضاء على الجماعات الإسلامية والوطنية، لم تكن تعتمد حركة مجازرهم هذه على محاكمات شكلية، ولا على استجوابات صورية، ولا حتى على تهم ملفقة كاذبة، بل كان رجال البوليس والمخابرات الأفغانية يقبضون على الأشخاص الذين تحوم حولهم شبهم الباطلة الكاذبة الواهية، أو على الأصح الذين يرغب الحزب الشيوعي في القضاء عليهم، ثم يرمون بالرصاص، ولا يوجد أحد في **أفغانستان** كلها يأمن من أن يدق جرس الباب في مسكنه ليلا، ثم يؤخذ في عربة البوليس الرهيبة، فلا يعلم عنه شيء بعد ذلك، وقد التهمت هذه العمليات الإرهابية الوحشية للقتل الجماعي البارزين من الإسلاميين، والوطنيين، ومن رجال الفكر والأدب، والعقليات المفكرة المستنيرة،

وذوى العبقريات والذكاء.. ورجال هذه العمليات الوحشية يتجهون رأسا إلى ذوى الأهمية من أعضاء الحركات الإسلامية والوطنية، والمناصب العالية فى الحكومات السابقة، والأعضاء البارزين فى الحركات الشيوعية نفسها، وذلك بغرض التصفية الجسدية، ويأتى بعد ذلك دور من يعلم عنهم أنهم غير راضين عن سياسة الحكومة الشيوعية فى كابل، وهؤلاء من ضحايا المقادير، فربما اتهم الشخص من خصم له، أو ممن يرغب فى التقرب إلى الحكام الشيوعيين، فيقبض عليه، ويساق إلى الإعدام، أو إلى السجن الرهيب فى عربة البوليس الرهيبة، من غير أن يطلب منه إثبات براءته. ومن المألوف أخذ الرجل الضحية من مكان عمله، أو من مكتبه، فيمضى به رجال " الخاد " أو الأمن، ثم يعلم أنه أعدم، أو لا يعلم عنه شيء. وقد راح ضحية هذه العمليات اثنا عشر ألفا من الأفغان البارزين خلال ثلاثة أشهر الأولى من استيلاء الشيوعيين على الحكم فى كابل..

وهكذا تخلص لينين، ثم ستالين فى الاتحاد السوفيتى من أعدائهما، وعلى طريقتهما تخلص الحزب الماركسى الأفغانى عن أعدائه من الإسلاميين، ومن ذوى الفكر المعارضين، ومن خصومه المناوئين، ومن أعضاء الحزب المنافسين..

هذا هو الوجه الحقيقى للاتحاد السوفيتى، وهذا هو الوجه الحقيقى لمن يدور فى فلكه، ويدور معه حيث يدور.. فلا هو أمل المقهورين، ولا هو نصير المظلومين من الشعوب التى انخدعت بالشعارات الزائفة التى نادى بها منذ قيامه سنة ١٩١٧م.

**السليمانية – جدة ١٩٨٤م**

## ٣٦- أفغانستان صامدة

على الرغم من كل الاحباطات المتناثرة والمتفرقة فى **أفغانستان**، وعلى الرغم من كل العقبات والعراقيل والصعاب التى يضعها المتشائمون والانهزاميون فى وجه الصحوة الأفغانية، والصيحة الجهادية فى **أفغانستان**، على الرغم من كل هذا وذاك، فإن فرص الانتصار فى الجهاد الدائر للدفاع عن العقيدة والوطن مازالت تلوح فى الأفق من بين بقايا الدخان الصاعد، وركام الأنقاض المتوهج.. إنه لا يمكن للحمم المدمرة، والقذائف الهاوية، والشظايا المحرقة أن تحطم عزيمة أمة تؤمن بالله، أو تخضع إرادة شعب يدافع عن حريته، وعن حقه فى الوجود، بل إن المحن والخطوب - كما هو معروف - تزيد من صلابة الأمم، وتعيد صياغة الرجال، وصناعة الأشخاص من جديد..

و فى الحق أن الشعب الأفغانى المسلم المؤمن بالله قد تعرض للمحن والمشاق، وتحمل آلاما منهكة مميتة، وأوجاعا كثيرة عنيفة.. يكفى أن هذا الشعب الصامد المكافح المناضل قد عانى من أهوال الفتن والقصف والتدمير والتخريب ما عاناه، ثم عانى من الغزو الشيوعى السافر، ومن عملائه أداة الحرب، ومن الحرب المدمرة نفسها أفظع وأطول مما عانته الشعوب الأخرى أثناء الحرب العالمية الثانية.. وأيا كانت الأسباب والعلل التى مهدت أو تسببت فى صنع الكارثة فوق الأرض الأفغانية، فإنه لولا تلك الأيدى الدنسة والمندسة بين صفوف الشعب الأفغانى، لما كانت الفتنة، ولانطفأت نار الحرب المدمرة منذ زمن بعيد..

إن الحقد والطمع الشيوعى مازال يتأجج فى **أفغانستان** الصامدة، وهو فى كل يوم يزداد عنفا وشراسة، كلما تكشف له أن رحلته التى كان يحسبها نزهة سهلة ممتعة فى ربوع **أفغانستان**، قد تحولت إلى مقابر خرساء تلتهم جنوده وعملاءه، وأحلام هؤلاء وهؤلاء جميعا، وظلت **أفغانستان** المناضلة برغم كل الجراح العميقة صامدة شامخة تتحدى جميع محاولات الإخضاع والتذليل، والتفتيت والإغارة والتشريد..

ولا ريب فى أن أى مسلم عاقل مخلص يهمه أمر الإسلام والمسلمين فى **أفغانستان** يدرك ما يمكن أن يفعله العدو الشيوعى المتمركز فى ربوع **أفغانستان** حينما يغيب العقل وتسيطر السطوة، ويموت الأمن، ويهرب الحوار، وتعربد المدافع، وتنفجر الألغام، وتمطر القذائف، وتتوهج الأنقاض، ويصعد الدخان، وتشتد المعاناة، فالعدو الآن يتحرك بحرية فى البلاد، ويحرك ذيوله من الهالكين، ويقوم بحركات مريبة داخل الحدود المرسومة وخارجها، لإلحاق مزيد من المعاناة والآلام، ومن البؤس والشقاء بالأفغانى المقيم والهاجر.. وبالمناضل والمقاتل سواء بسواء..

إن الشعب الأفغانى يدرك ولاشك أنه هو المسئول الأول فيما لو - لا قدر الله - استمرت الحرب، وعادت الأزمة تهز كيانه المنهوك بعنف أشد تأثيرا، وأعمق ألما وفزعا، كما أنه المسئول الوحيد لحل أزمته والخروج من مشكلاته، وهنا نتوقف قليلا لنقول فى تساؤل: هل تحملت الدول الإسلامية مسئولياتها الأخوية كاملة تجاه **أفغانستان** الصامدة؟.. الأحداث كلها تشير بوضوح إلى غياب إسلامى

ملحوظ من الحضور لفعال المؤثر فى الساحة الأفغانية، وقد أدى ذلك إلى نكسات مريرة مازالت تذكرنا بالجمهوريات الإسلامية التى احتلتها روسيا فى الماضى القريب، وهى كذلك مازالت تذكرنا بهجرة المسلمين الأوائل قهرا عن ساحة البلاد بحثا عن الطمأنينة للدين والعقيدة، وللأطفال والشيوخ والنساء..

لسنا فى الحقيقة بصدد محاسبة الأنظمة الإسلامية المتقاعسة، فهذا ما لا نملكه ولا نريده، وإنما نشير فقط إلى حقيقة ثابتة أكدتها وسائل الإعلام المختلفة بأن القضية الأفغانية باقية بمفردها فى المجالين العسكرى والسياسى معا..

نعود فنؤكد أن هناك عدة أطراف من أشرسها وحشية، وأكثرها همجية، العدو الشيوعى يهمها أن تظل **أفغانستان** منتكسة ممزقة منهوكة إن لم يكن من أجل تحطيمها والقضاء عليها فمن أجل تحطيم الكيان الإسلامى فيها، وجرها إلى المعسكر الشيوعى الذى لا يمكن أن يعيش إلا بامتصاص دماء الشعوب..

ونؤكد كذلك أن الرؤية الأفغانية مهما اعتلاها من ضبابية اليأس والفشل، وتفجر بقايا الألغام، بدأت تتضح ملامحها القومية والسياسية بصورة أقوى، وبشكل أنصع فى ظل التغيرات الجهادية الحالية، وكذلك فى ظل المتغيرات السياسية مما يبشر بعودة **أفغانستان** إلى كامل بهائها ونضارتها وأمنها وسلامة أراضيها بصمودها الإسلامى والقومى والوطنى، ومن ثم فلامشاحة فى ضرورة الدعم الإسلامى.. فى المجالين السياسى والعسكرى لكل الجهود القتالية والجهادية الخيرة التى بدأت تنمو على أرض **أفغانستان** الصامدة الشماء، لأن الجهاد المستقل

الآن فى ربوع البلاد الأفغانية ضد العدو الشيوعى المتربص، يعد علامة نصر، ومصدر اعتزاز ليس للمناضلين الأفغان وحدهم، بل لجميع المسلمين فى جميع أنحاء العالم، وهو كذلك مصدر اعتزاز لجميع الأحرار والمناضلين فى جميع أنحاء العالم أيضا.. إن **أفغانستان** الشماء صامدة فى وجه العدو بإرادتها الإسلامية الحرة رغم كل العراقيل التى يضعها المتشائمون فى طريق صيحته الجهادية وصحوتها الأفغانية.. ورغم كل المحن والآلام، وتحمل المشاق والأوجاع.

**شارع دار بن الأرقم – حى الجامعة فى جدة**

**يوم السبت ١٤٠٤/١١/٢٨هـ=١٣٦٣/٦/٣هـ ش =١٩٨٤/٨/٢٥م**

## ٣١- خدعوك يا رفيق

أرسل الرفيق التعس بصره متأملا الرجل السعيد المؤمن، وأخذ يتفحصه فى فضول عجيب، وفى دهشة عظيمة، وهو يسأل رفيقه المنافق فى غطرسة كاذبة، وكبرياء فارغة.. هل جئت لى بقميص السعادة والوقاية والهناء من موسكو؟!

تلعثم رسول الرفيق، وبدت الحيرة المرتجفة، والخوف الرهيب على ملامح وجهه الأصفر، وكاد أن يغمى عليه لولا أن الرجل السعيد المؤمن الماثل الواقف أمام الرئيس الرفيق أنقذه من هذه الورطة الصعبة، والموقف الحرج طالبا من سيادته أن يسمح له بالتحدث والكلام. رمقه الرفيق الأوحد بنظرة تجسدت فيها شراسة الشيوعية الصادقة، وغطرسة القوة الكاذبة وإيقاع الجبروت الطاغى، ونزعة التحدى صائحا:

ماذا تريد أن تقوله أيها الرجل؟!

فى صوت هادئ يقطر إيمانا وحنانا ورقة وشجاعة وثقة قال الرجل السعيد المؤمن:

فخامة الرئيس الرفيق: إن سر السعادة الصادقة أبسط وأسهل بكثير من أن تستطيع أن تصدقه، سر السعادة والوقاية لا يكمن فى استجلاب القمصان من موسكو، إن السعادة الحقيقية تتلخص فى إطاعة القوانين الإلهية التى يأمرنا الله بتطبيقها وتنفيذها قولا وعملا، ولو أننا أطعنا هذه القوانين السماوية بدلا من القوانين المستوردة ما شعرنا بالسعادة والطمأنينة فحسب، وإنما لامتلأنا بالابتهاج والسرور الأبدى، ولأننا نعتدى دائما على القوانين الإلهية ونستورد قوانين غير إلهية فمن المحال، بل من المستحيل أن نشعر بالسعادة والوقاية.. فخامة الرئيس.. فخامة

الرفيق.. لا تغضب منى إذا قلت لك: إننا جميعا رفاقا وأصدقاء نرتكب الحماقات والآثام والخطايا، ونصم آذاننا عن الصوت الرائع الذى ينعكس صداه بداخلنا وفى أعماقنا.. ومن هنا تصيبنا التعاسة والانتكاسة، وينخر فى عقولنا وقلوبنا ميكروب الشقاء، وجرثومة التعاسة..

يصمت الرجل السعيد المؤمن وعيناه تخترقان أعماق الرئيس الرفيق، ثم يعاود كلماته بثقة وإيمان:

أيها الرفيق الشفيق، والرئيس الملهم.. قد تضعنى فى غياهب السجن مع آلاف من أمثالى، أو تقتلنى بحد السيف مثل غيرى من السعداء بالإيمان، وعندما يكون قلبك رحيما بعيدا عن القسوة الشيوعية الدامية، فقد تأمر بطردى من بلادى، فأهيم على وجهى باحثا عن المأوى والملجأ فى غير بلادى، إذا تجرأت عليكم بإلقاء هذا السؤال، وتوجيهه إليكم:

ألم يقم أحد بالوشاية عندك على أحد.. وأطعت هذه الوشاية.. وأصابه الظلم؟! ثم ندمت على هذا الظلم الصريح الذى وقع منك بسبب هذه الوشاية الكاذبة؟! هل حكمت بالعدل، وطبقت قوانين الدولة على كبار القوم من الشيوعيين والأذناب كما يطبقها هؤلاء الكبار على صغار الدولة، وفقرائها، وبسطائها، وشرفائها؟

فتماوجت ذكريات السنين السيئة على سحنة الرئيس الرفيق، ثم قال فى صوت خافت كأنه يطرد من ضميره القاسى سقطات الماضى الذى كان فيه داعيا إلى الشيوعية، وقد ارتكب أثناء ذلك ما لا يحصى من الحماقات والذنوب والآثام، ومن الظلم والاعتداء والسيئات..

ولكن أيها الرجل أنا لست ملاكا، ولا أدعى ذلك أبدا.

لقد فضل الله خليفته من البشر على ملائكته لأنه يسكن فى ضمائرهم وقلوبهم.. ولكن لا أحد يسمع، ولا يرى، ولا يحس، ولا يشعر.. صدقنى أيها الرفيق الشفيق.. أيها الرئيس إن السعادة الخالدة لا تنبع إلا من داخل الإنسان، ومن أعماق ذلك الإنسان الذى لا يعتدى على قوانين الله، ولا يعتدى على نواميس الإنسانية. قالوا لك يا سعادة الرئيس والرفيق الشفيق: إننى دائما مبتهج سعيد... فهل تعلم لماذا أنا كذلك؟ لأننى أحترم قوانين الله، ونواميس الإنسان المسلم.. وغير المسلم.. فلا أكذب أبدا.. ولا أغش أحدا.. ولا أسرق شيئا.. ولا أرتشى.. ولا أطعن أحدا فى ظهره.. ولا أرشى.. ولا أنافق.. ولا أتعالى.. فقط أرعى أغنامى.. أحلب لبنها، وأبيعه لكسب رزق حلال، فلا أرفع سعره، ولا أخلط به ماء.. أقص صوف أغنامى وشعر معيزى. وأغزله ليستر جسدى وأجساد الناس إخوانى ويقيها من البرد.. وأرقص على أنغام الناى بين الربوع والأودية سعيدا مبتهجا بلا خوف ولا وجل. أما أغنامى ومعيزى فمصدر رزقى، ورزق أولادى، فإذا وجدت بينها مريضة عالجتها، وإذا وجدت فيها جائعة أطعمتها. وإذا وجدت واحدة منها استشعرت البرد، وخافت إيذاءه أدفأتها على الفور، وإذا كانت هناك واحدة أصابها الجرب، وأصبحت خطرا على قطعان أغنامى ومعيزى، وفشلت فى علاجها عزلتها فى مغارة تحت رعايتى حتى تموت فى هدوء، ثم أعود لأدفنها بمعرفتى. هذا هو قميصى، ورداء سعادتى الذى يبطن داخلى، وهذا هو سر ابتهاجى وسرورى الدائمين.

خطا الرئيس الرفيق خطوات ثقيلة بينما كانت كلمات الراعى السعيد المؤمن تحرك أعماق روحه، ومكامن نفسه العميقة، وفجأة التفت إليه قائلا: أقبل على

أيها الراعى السعيد، وتعال، انظر معى من خلال هذه الشرفة المطلة على المناظر والمشاهد الجميلة.. لقد أرحتنى بكلماتك الجميلة المؤثرة..

اقترب الراعى من الرفيق الشفيق، وأشار بيده إلى الجبل، والبحيرة، والأشجار، والحديقة التى تحيط بالقصر الجمهورى الذى كان قصرا ملكيا عظيما فيما مضى من الأيام الخوالى، قائلا: ما أروع هذا الجمال الرائع الأخاذ الذى يحيط بهذا القصر الذى تعيش فيه كما يحيط بكوخى المتواضع الذى أعيش فيه فى أحضان الجبل.. لقد منحنا الله جميعا بلا مقابل.. الشمس، والهواء، والحب والود.. وكيف يمكننا أن نصبح بكل ذلك سعداء مبتهجين مسرورين فرحين... كل ذلك بفضل من الله، وبرحمة منه.

ابتسم الرفيق الشفيق قائلا: المهم فى كل ذلك كلمة " كيف " التى استعملتها فى مكانها المناسب أيها الراعى!

أجاب الراعى المؤمن فى صوت يسيل حكمة: إن السعادة كالعطر الذكى الطيب، إذا صببته على الآخرين.. لا بد أن ترتد إليك رائحته الذكية، وامتلأت بطيبها وإنعاشها.

ارتسمت بسمة النور المشرق على ثغر الرئيس المبجل، وربت على كتف الراعى السعيد مقهقها فى سعادة وابتهاج نادرين: ما أروعك أيها الراعى الحكيم.. وما أسعدك بقناعتك، وتواضعك، وعملك! فى شبابى علمونى أن القوة الشيوعية حماية وأمان، وأن القهر الشيوعى حصن حصين للحاكم والرئيس، وأن التآمر ضد الوطن وأهله ضرورة للأمن، وأن الطغيان حفظ للسلام، وأن الاستبداد ديمقراطية، وأن الظلم والعدوان عدل وإنصاف، وأن الرجل الأخلاقى يستر أبشع

الشرور، وأسوأ السلوك فى أعماقه، يتظاهر بالخلق القويم وهو أسوأ الناس أخلاقا وسلوكا ومعاملة.

فى صوت حزين يسيل حسما وحنانا وشفقة وإيمانا قال الراعى الأفغانى المؤمن القوى: خدعوك يا رفيقى الشفيق، والرئيس المبجل.. وإذا لم تصدقنى.. عد إلى كتب التاريخ، وسير الحكام، ووقائع الملوك والرؤساء، وأحداث الولاة والمسئولين.

زاد وجه الرئيس المبجل بشاشة، وهو يداعب الراعى القوى بالإيمان قائلا: هل أستسمحك أيها الراعى السعيد، والصديق القويم أن تهدينى بقميص مغزول من صوف أغنامك، وأن تعطينى فرشا مغزولا من شعر معيزك؟!

أمرك أيها الرئيس...!

**فى مدينة جدة – ١٤٠٤/١٢/١٣هـ = ١٩٨٤/٩/٨م**

## ٣١- فخ قريشاب

إننى أشعر بشىء كأنه الواجب، يدفعنى دفعا قويا إلى الكتابة عن الحيوان المفترس.. عن هذا الدب الخبيث..

هذا الدب الماكر بن الدب الخبيث يقف فى مقدمة الدبب المفترسة جدا، والخبيثة جدا فى استغلال الحرية، وسلبها عن الشعوب الإسلامية المخدوعة بأساليبها الخبيثة، وبألاعيبها الماكرة، يثور فى الوقت الذى يعجبه، ويذهب إلى المكان الذى يريد سلب حرية صاحبه، وينام على عتبة الباب الذى يريد خداع من يجلس وراءه، فهو بالتالى من أشد المعجبين بلعبة الحرية التى يسرف فى استغلالها حتى العظم، ولا شىء بعد العظم.

هذا الدب الخبيث قام بدور البطولة فى إحدى القصص البطولية.. قال لى مرة: إنه قد حفظ حرية الشعوب حتى غلبه الأرق والإرهاق، فقد طرده الأرق من الدار إلى خارج البلاد، ليستقر به المقام فى بلد مجاور للدفاع عن حريته، ولكن الأرق يلاحقه هناك، ولا يدع له فرصة النوم، والراحة، فقام بتوزيع أعوانه من الدبب على المدن والأقاليم، حتى وقفت جماعة الدبب على الحدود الفاصلة للديار المجاورة.. الديار الإسلامية..

وكان الأرق يلاحق الدبب فى كل مكان فى المدن والأقاليم، وفى الحدود الفاصلة للديار المجاورة، وبدأت الدبب تنبح كالكلاب المسعورة، واستمرت فى النباح أكثر إزعاجا، وبدأ الأرق والإرهاق يلجأ إلى استعمال العنف، والشدة إلى درجة الاستنزاف، و لم تقدر على مواجهة المتاعب، والتورط المخيف، وبدأت تمتلئ

بالندم، والندامة، وبالفشل الفظيع، لأن الفشل يذهب بالفاشل إلى حظيرة اليأس، فلابد أن يتحمل الأذية، ومسئولية إحباط الفاشلين، وقد امتلأت المدن والأقاليم بطوابير الفاشلين. إنها واحدة من المشاكل والمتاعب التى تواجهها الدببة، وعلى رأسها الدب الخبيث الماكر المخادع، وعند ما طال مكثه وانتظاره فى تلك الأحوال والأهوال، قال الدب المنافق المخادع: إنى أشعر بالأوجاع والآلام الشديدة إلى درجة كبيرة من الخطورة بحيث لا أستطيع أن أنام، ولا أذوق الزاد والطعام، وبسبب ذلك أسهر الليالى الطويلة، وبسبب ذلك لا أذوق الزاد من الطعام والماء.. ومن هنا نراه يعيش بين الموت والحياة، والموت إليه أقرب.. يحاول عبثا أن يعود إلى قواعده سالما، ولكن أين تلك العودة السالمة التى يحلم بها؟ أما المنافقون من رفاق السوء فإنهم يزودونه بوقود النفاق فى كل الآفاق، حيث لا يجيدون استعمال سيوف الصدق والإخلاص، لأنها سلاح المواجهة الصادقة، وهم أبعد ما يكون عن هذا الميدان. ومن طبيعة المنافق أنه يكون جبانا، لا يملك القدرة على الإقدام.. حتى مجرد التفكير فى الاقتحام.. ومصيبة هؤلاء المنافقين أنهم لا يرجون لله وقارا، فيعصونه بأنواع من الذنوب فى القول والعمل، ويستصغرون عواقب هذه الذنوب، ولا يقدرون خطورة هذه الأمور، وفى غيهم يعمهون، وعلى باطلهم يصرون، وقد فقدوا القدرة على مجابهة الصدق فى القول، ومجابهة الحقيقة فى العمل.

**منى – مكة المكرمة**

**الخميس ١٨/١٢/١٤٠٤هـ=١٣/٩/١٩٨٤م**

## ٣٩ - من مكة

الوحدة تكاد تفتك بى وتقتلنى، والملل يحاصرنى ويعصرنى، أشعر شعورا قويا بأننى أسير وأهيم فى صحراء جرداء قاحلة، باحثا عن الماء الذى هو فى الحقيقة وواقع الأمر سراب خادع لا وجود له أصلا، أشعر شعورا غريبا بأن سباع الأرض المفترسة، وطيور السماء الجارحة تطاردنى من مكان إلى مكان، أصرخ بأعلى صوتى وبأقصى قوتى للاستغاثة، والإنقاذ، والنجاة، ولكن لا أجد من يجيبنى.. ومن يغيثنى، ومن ينقذنى من ذلك المأزق الذى وقعت فيه، ومن تلك الورطة التى سقطت فيها..

أرجوك، أرجوك أنقذنى، ولا تذبح أحلامى، ونجنى، ولا تقتل آمالى.

**منى – مكة المكرمة**

**يوم الأحد ١٤٠٤/١٢/٢١هـ = ١٩٨٤/٩/١٦م**

عليك الاتكال والتكلان يا رب، وبك الرجاء والأمل يا الله.. من رحمتك نستمد قوانا، وبرحمتك تتجدد مرئياتنا داخل كياننا الضعيف لهذه الحياة فى هذه الجبال المقدسة من أرض منى الحافلة بالجسور والتلال، وبالمرتفعات والطرق المعبدة للعباد من ضيوف الرحمن. إن قبولك لدعوات عبادك المفتوحة هو المغنم الوحيد والسعادة الغامرة فى قلوب المؤمنين فى أودية منى الطاهرة بعد رحيل أفواج الضيوف الربانية الغفيرة الهادرة.

و لو لا الأمل فيك يا رب لما صمد ضعف عبدك الضعيف أمام أعاصير الحياة، ووحشتها المرعبة بين هذه الشياطين الصامتة التى تحاصرها جبال منى على يمين المتجه إلى مكة المكرمة وشماله، ولولا الأمل فيك لما صمد ضعف عبدك الضعيف أمام نوائب الغربة والوحشة القاتلة بين هؤلاء النفر من الحراس والعمال فى هذا المكان، فعبدك فى سكة الحياة متى وقفت المصاعب والمتاعب أمامه، واعترضت أشرعة رحلته فى بحر الدنيا العريض فى أودية منى المقدسة - لاذ إليك مستغيثا، وفر إليك سائلا، راجيا لكى يشمله عطفك وغفرانك، ولكى تفرغ عليه من رحمتك الواسعة.. من الصبر والسلوان بين الوديان المقدسة، والعمال المكدسين بين المكانس بالملابس الصفراء كأنها احترقت بأشعة الشمس المحرقة.. أنت الحامى يا رب.. ربى ورب هؤلاء جميعا.

هذه الدنيا بكل ما فيها من ابتسامات تظل فى علاقة الإنسان بأخيه الإنسان كالصحراء القاحلة، ذلك لأن الإنسان فى ساعة المحنة قد لا يجد من يقف معه فى محنته حتى أقرب الأقربين إليه، بل وحتى الصديق الذى قدمت له كل ما تملك من

وفاء وإعزاز وإخلاص، قد لا تجده وقت الحاجة التى تستوجب وقوفه معك، حتى كادت الحكمة التى تقول: "الصديق فى وقت الضيق" خاوية من كل محتواها الإنسانى فى هذا الزمن المادى الذى يتميز بالأنانية، وحب الذات غالبا.

إن مثل هذا الدرس الصعب قد يخرج منه كل صاحب تجربة، وصاحب حاجة من حيث لا يدرى بعد أن يمن الله عليه بالفرج، ولكن بالرغم من ذلك فهناك الذين تمنعهم ضمائرهم من مبادلة هذه السلبيات فى علاقاتهم بالآخرين، لأن أعماقهم بحار صافية ترتفع فيها المبادرات النبيلة، وتنمو لتكون حصنا لكل مستجير حتى أنهم ينسون بدافع من إنسانيتهم عقوق من تنكر لهم بالأمس فى وقت الشدة والضيق، ووقف منهم موقف المتفرج الضعيف، أو الشامت المتردد فى اتخاذ موقف بالمؤازرة لصاحب الحاجة!

وأيام الدنيا دروس وعبر لا تنتهى، وحصص متصلة، وامتحانات الدنيا بخيرها وشرها يومية، ولا تعرف بالمواسم، وهى كتب مفتوحة للجميع، وعلينا أن نقرأها، ونتدبر معانيها، لأنها صفحات مفتوحة لكل الأعمار، وقد تخطىء كثيرا عندما تضع لمذاكرة صفحات الدنيا مواعيد ومواقيت وفصولا، وهنا فقط تسقط من ذاكرة الأغبياء دروس الحياة، وينجح فيها من يضعونها نصب أعينهم باستمرار ليتجسد الفرق بين من يذاكر فى حدود نفسه ولنفسه فقط، وبين من يذاكر دروسها ليكون عطاؤها لكل الناس.

والمحنة القاسية فى **أفغانستان** المجاهدة قد غيرت الموازين الخاصة بالصداقة والإخلاص، وبالأخوة والمحبة والوفاء.

**منى – مكة المكرمة – ١٤٠٤/١٢/٢٥هـ = ١٩٨٤/٩/٢٠م**

## ٤٤- وداع الأحباب

إلهى:

فى حالتى هذه بدأ عقد الأحباب والخلان والأوداد والأعزاء ينفرط انفراطا، وبنفصم انفصاما، وأزهار بساتين الحب فى وطنى وقومى تذبل ذبلانا خطيرا، وحدائق الورد والريحان تذهب نضارتها ذهابا، ويجف ماؤها جفافا، زهرة تلو زهرة، وردة بعد وردة، ريحانة عقب ريحانة، لؤلؤة تتبعها لؤلؤة، رحيل وراء رحيل، سكون مخيف يخيم على أوتار القلوب، وعلى منازل الأبرار فى الريف والقرى والمدن، إن الرحيل المر، والليل الكئيب يلف الأحباب والخلان والأعزاء من الأهل برداء الصمت واليأس والبؤس والحرمان، وحالة من الرهبة والرعب والإرهاب تسيطر على القلوب الملتهبة المفعمة بمزيج من الأمل والحرمان، كما تسيطر على الأعصاب الملتاعة المضطربة بأخطار الرحيل المجهول، رياح الحزن القاتلة الساخرة القاسية بعثرت خيام قلبى وقومى فى الحضر والمدر، وفى المدائن والقيافى، وشتت أوتار فكرى وعقلى الحزين، والهدوء مع الصمت الرهيب يرعبان أشجار الحزن، وأشجان القلب، ونحيب الأطفال مع نحيب الطيور والقلوب يعذبان كل شىء فى تلك الخيام.. خيام البائسين، ويذيبان الأحباب والخلان والعشاق من الجانبين..

أسمع لطيف خيالى ألحان ناى حزين فى ليالى الصمت الدفين، وفى أيام الحزن العميق.. نعم، تلك هى مواويل الحب الجميل، والرحيل المر، نعم، تلك هى أغانى السفر الأليم، والفراق الحزين، الكل مسافر، الكل راحل، الكل فى فراق، حتى الطيور الجميلة والمغردة تهاجر هجرة الخلود، والمسافات طويلة قصيرة، شاقة

سهلة، إنه أشرقت شمس الرحيل فى سماء القلوب الملتهبة، وفى سماء البلاد المضطربة، بلاد الأهل والخلان، وبلاد الأحبة والأصدقاء، وقد دقت نواميس الفراق، وأجراس الرحيل، واستيقظت قوافل الهجرة فى مرابع الخلان، وفى ربوع البلاد..

هذا الحزن الآتى من الاستبداد الشديد، ومن الطغيان العاصى، ومن الظلم العاتى عبر آهات الزمن، وعبر آهات التشرد الأبله القاسى فى ليالى الغربة القاسية على أوتار عازف بائس مثخن بجراح الفرقة العميقة، ممزوجة بجراح الآلام والمآسى، هذه الآهات الثاخنة من الحزن والألم الشديد تكون أنشودة الهجرة المقدسة، وقصيدة الرحيل المر القاسى، ونشيد الوداع الحزين الآسى..

إلهى: نجمة لامعة ناضرة زاهرة تأفل تلو نجمة لامعة مثلها، أو أكثر منها لمعانا ونضارة، ورقة ذهبية ثمينة تسقط كل حين تلو ورقة ذهبية أثمن وأنفس منها، ونهار طويل ثقيل من اليأس والأسى يمضى ويمر تلو نهار من البؤس، والفرقة، والفاقة، وزمان من الآمال والأمانى يمر ثقيلا كئيبا وراء زمان من اليأس والقلق والاضطراب والوخزات، وهذه أصوات من أبناء العشاق المتصدعين المجزوعين، وتلك أصوات من أبناء الشهداء والمهاجرين تنادى من قريب ومن بعيد، وهذا أنين المصابين فى الفراق والقتال ممزوجا بأنين الرياح العاتية يزمجر من بعيد ومن قريب، وهذه مرافئ الذكريات فى المهد والموطن المهجور تلوح فى الأفق القريب والبعيد، وهذه شواطئ الأمس البعيد والقريب تتضح من بعيد ومن قريب. هاهى مراكب الحزن الأسود الدامس أرخت مراسيها على خيام الحزن والفراق لتأتى بشهيد أو مصاب جديد من وراء تلك القمم التى يتصعد خلفها دخان أسود كثيف، لتبدأ

بذلك قصة جديدة.. قصة الرحيل ببطل جديد.. حتى تنتهى فصول مسرحية السفر البعيد، ويسدل الستار، وينفض الجميع ببعث جديد أو بموت جديد..

حفيف خفيف من الهمس الحزين ينتشر بدفق فياض، ويمتزج مع هدأة الأحلام، ويعانق دروب الخطوات التى أصبحت أوهاما لطول الانتظار والترقب، وكالعادة بدأت قصة جديدة بشهيد جديد، أو بفراق ورحيل جديد من نوع خاص ذى حساسية خاصة، لحظتها بترت مفاصل الكلمات، وتقطعت العبارات، وفقدت مبعثرة كركام حامية تنثر هنا وهناك فى مسافات بعيدة من الفواصل الحزينة داخل أوتار القلوب الحزينة، حتى أن لغة الكلام قد جفت ينابيعها، وأجدبت مصادرها، وفقدت العيون الدامية لغة الأجفان الباكية، وصمتت القلوب الحزينة، وسيطرت على الجميع حالة من الصمت اللامحدود التى اكتسحت مسافات القلوب الحائرة، والمشاعر القلقة، والحواس المضطربة، والأعصاب المشدودة جميعا، وبدأت قصة الوداع مع راحل أو شهيد جديدين من نوع جديد.. لأنه شهيد الفراق، راحل إلى الآفاق، حماه الله ورعاه، إنه بطل من الأبطال، وحبيب من الأحباب، وقطعة من الأكباد.. صغير ولكنه كبير، رحل من هنا من قربى وجوارى واختفى من أمام عيونى الرقراقة بالدموع والدماء..

وحبيب آخر من الأحباب، وبطل آخر من الأبطال، ولنكه فى الموطن، وليس فى الغربة القاتلة، وشهيد جديد من الشهداء - رحمهم الله - مطعون بالرماح الخائنة، وأقسى الأشياء على الإنسان أن يطعن من خلفه، عنده تكون آثار الأيدى الملوثة بغدر الخونة أشد وقعا عليه من أى ضربة فى مسافات قلبه المجروح، وفى مسافات جسده الجريح، ليس من المهم فى شىء مدى عمق الجرح القاتل، بل المهم طريقة الوصول إلى كيفية اغتياله، واغتيال سعادة الاستشهاد فى أحضانه،

فقد ضاقت حدود الأرض الأفغانية عليه، كما ضاقت على شهيد الرحيل والفراق الأرض العربية، وصغر حجمها عليه وتحت رجليه عند ما طعنوه من خلفه، فقد طعن من رفاق السوء الأعداء فى المهد والموطن، باعوا ضمائرهم للشيطان بأرخص الأثمان، إن النفوس التافهة والحقيرة نراها دائما ضعيفة أمام المصالح الشخصية الحقيرة، فتتحطم فى خضم ذلك أواصر العقيدة المشتركة، وأواصر الأخوة الدموية، وشهيدنا لم يكن يدرك ما طرأ على رفاق الدرب من التغير المفاجئ السريع فى المواقف والنيات، إلا فى اللحظات الأخيرة الحاسمة من استشهاده وحياته، فدافع عن نفسه ببسالة نادرة، وقتل من الرفاق فى اللحظات الأخيرة من استشهاده عددا إلا أن يد الغدر والخيانة من الرفاق اغتالته، وطعنته من خلفه فسقط شهيدا على أرض البطولة والبسالة، وحمل جثمانه شهيدا إلى معسكر الخيام على ظهر بغل من البغال الجبلية. وانتهت قصة شهيد لتبدأ قصة شهيد آخر.. نجمة لامعة تأفل تلو نجمة لامعة فى الموطن والمهد، وفى الغربة والتشرد، وتتكرر أنشودة الهجرة المقدسة، وتتكرر قصة قوافل الرحيل، ويتكرر نشيد الوداع الحزين داخل ظلام تلك الخيام، وعند مطارات تلك البلاد، وينفرط عقد الأحباب والخلان انفراطا، ريحانة تتركنى حزينا، وأخرى تتركنى باكيا، فأصبح البكاء والحزن من عادتى وديدنى لا يفارقاننى أبدا، رحل الأحباب، وتركونى فريسة للظنون والهموم والأحزان، وأصبحت حياتى من بعدهم جحيما لا يطاق، وأصبحت هذه الديار بكل أنوارها وزخارفها تبدو موحشة مقفرة، وانقطعت صلاتى وروابطى بالآخرين، وأصبحت أعيش فى وحدة قاسية ملؤها الكآبة والحزن..

ألاقى من عذابك ما ألاقى ❁ وحبك فى حنايا القلب باق

وشوقى إليكم أبـدا يشـتد أواره، وتشتد جـذوة نـاره فـى لحظـة الفـراق بـين الأحبة، والأصل فى مثل هذه الأحوال والأهوال أن نشتاق، وتقصـف بنـا أشـواقنا إذا ابتعدنـا، والشـوق هـو الـذى يثير المشـاعر فـى الأعمـاق، وتؤجـج العواطـف والأحاسيس فى العشاق وفى غير العشاق..

بلى إنى مشـتاق وعندى لوعة ❁ ولكن مثلى لا يـذاع له سـر

أدعو الله من كل قلبى، وفى صمت عاجز حزين، وبكل إخلاص أن يحفظكم بعظيم رعايته وعنايته وحمايته، وأن يغرق الشهداء منكم بعظيم رحمتـه ومنتـه، وأن يحفظ لنا وطننا العزيز، ومأوانا الغالى من عبث العابثين، وانشـقاق المنشـقين، ومـن انهيار المنهارين.

**شارع دار بن الأرقم – حى الجامعة – جدة**

**الجمعة: ١٤٠٥/١/٩هـ = ١٣٦٣/٧/١٣هـ ش = ١٩٨٤/١٠/٥م**

إليك :

إليك يا من أحبك حبا ما بعده حب، إليك وحدك أسطر أشواقى، وأعبر عن آمالى، وإليك أيها الحبيب الغالى، وإليك أيتها الحبيبة الغالية.. أيتها الرفيقة الصادقة، أيتها الرقيقة الصامدة، إليكما أتوجه بكل إحساسى وشعورى وطيفى الذى يحمل إليكما أشواقى، عشت معك يا عزيزى الغالى هذه المدة، وعشت معك يا عزيزتى الغالية طوال هذه السنوات أحلى وأجمل العمر، صارحتك فى كل شىء، وأخلصت لك كل الإخلاص، أنتما يا من أحببتكما بدون رجاء، أنتما يا من وهبتكما كل تنفس من حياتى، وكل لحظة من عمرى، إليكما أكتب كلماتى من أعماق قلبى للتعبير عن حبى ووفى وتقديرى..

و أنت يا أملى الوحيد ستظلين كما أنت غالية صافية، كما أحببتك حبا صافيا، حبا نقيا، ستظلين كما أنت نقية رائعة فى فؤادى، وداخل كيانى، إن حبك وحده لاشىء غيره، يسير فى دمى، ويسرى فى وجودى، أحمل إليك أجمل ذكرياتى فى أجمل أيامى، لن أبخل عليك بأى عطاء من الحب وذكرياته، ومن الود وأشواقه، ومن الوفاء وآثاره، ولن يجف أبدا بحر حنانى، لن تغيبى يا من أحببتك عن مخيلتى مهما باعدت الأيام بيننا، فإن رحلت عن عينىّ فلن ترحلى من قلبى المشتاق إليك أبدا والملتاع بحبك الأبدى أزليا، كلانا روح واحدة حلت بأمر الخالق فى قالبين، لن يفارق النصف من النصف، ولن يتنازل الجزء من جزئه، سيكون اسمك الحبيب مخلدا فى قلبى، وفى أعماق فؤادى، يا قلبى ويا فؤادى، يا من صادفتنى الحياة فيك وبك، فكنت أنت أجمل صدفة، وأجمل حياة، وأنبل نفس

روحانية شفافة، لن يمحو فعل الزمان اسمك الحبيب من ذاكرتى، ولن أنساك، وكيف يمكن للمرء أن ينسى ذاته ونفسه أو نصفه، أو كل روحه، لن يضيع حبنا لأنه أبدى، ولن يضيع ودنا لأنه إلهى، وسيسير نهر الحنان إلى الأبد، ولن يصير سرابا لأنه حقيقى وليس خيالا..

حبى لك، ولك وحدك شىء لا أدرك كنهه، ولا أدرى حقيقته، حبك يغرق وجدانى وكيانى مثل شذى السوسن، حبك حبات من اللؤلؤ تتساقط على صدرى الجريح،، وأنت بعيد عنى، أذوب بحبك الذى لا يذوب، ولا ينتهى، يذوب صوتى المذبوح عند مناداتى باسمك الخالد فى فؤادى، فى لحظة أناجيك، وفى لحظة أناديك، وفى لحظة أعانقك، وفى لحظة أتوسد ذراعى، أرقى، وأهدأ، وأرقد على مشارف الحلم، وأغمض جفونى، وأنام هادئا فى الأحضان.. فى أحضان الحب والود، والحنان على شاطئ الوداع، وعلى الخط الضيق الشفاف بين النور والعتمة، يرتاد خيالى وطيفى بحورا ساحرة من ترانيم هواك، وحبك اللانهائى. حبك برىء براءة وجهك، حبك صاف صفاء قلبك، إن شوقى إليك يحرك مشاعرى بشدة، ويولد الشعور بالطوفان العاطفى فى أعماقى، لماذا رحلت وتركتنى فريسة للأحزان؟..

إليك أقول يا من أحببتك صادقا، ووددتك وفيا، وودعتك باكيا، إليك وإلى من معك أقول صارخا: أمضيت عمرى فى اغتراب، وحنين القلب بات يؤرقنى بعذابه الشديد، وألمه القاسى، ويطالب بإلحاح شديد بوضع النهاية لهذا النوع من الاغتراب، فالعشق عن بعد عذاب يؤرق العاشقين، أنا من أمضى الحياة سهدا وسهرا ويقظة، تاهت بى الأحلام فى دنيا الحب، وفى عالم الود، وفى بحر الحنان، وفى نهر الأشواق، أصبحت عاشق الأحلام، والأوهام لطول الاغتراب، أنا عاشق

الأوهام فى الليل الغريب، أنا لوعة النجوى، يمزقنى الاغتراب تمزيقا. إليك يا من أكننت لك ودى، أبوح لك بحبى، إليك أطلب بإلحاح بوضع النهاية لهذه الغربة القاتلة، وأنا فى انتظار أشد من الجمر، لقد ألفيت نفسى فى رداء الآمال الأسود مرتقبا غيثا لعله يأتينى من السحاب الأبيض.. إننى قد هويت النجوم النقية نقاوة حبى، لأنها ترعى نشوتى التى نشأت فى أرض بائسة يابسة لا تسعد بوصول الماء إليها بانتظام، فتكسرت عليها أيامى وآمالى، واشتدت بها أشواقى الملتهبة شوقا إليك، وزادت لوعة الحب اشتعالا، وزادت حرقة فؤادى ألما ولهبا، فهل لهذه الحالة المؤرقة نهاية بعد البداية؟.. سؤال أرهقه الجواب..

إليك يا من هجرت القلب مرغمة، ورضيت الهجر والفراق للقيام بتربية أزاهير العمر، إليك أقول يا من جعلت الكون قبرا من حولنا لبناء جنة لأزاهيرنا، لقد أمست ذئاب الحزن والاغتراب الطويل تعوى بيننا، وصنعت من هذا الأديم الواسع قبورنا، ودفنت فيها قلوبنا حية نابضة خافقة، لا ملامة بيننا يا من كانت عيونك الجميلة - وما زالت - زهرتى، وكان قلبك الحنون - ومازال - معينى ومنبع حياتى، وكانت ابتسامتك العريضة - ومازالت - ربيع عمرى، وينبوع نشاطى، إن الاغتراب قد قتل فىّ ربيعى، كانت عيونك ترسم الأمل، وتنقش الحب فى قلبى، فاعتدى عليه الاغتراب اعتداء، ثم طول الانتظار والترقب تطويلا، وكاد أن يموت الحنين من آلامه القاسية، ما عاد يجدى أن أبارز وحدتى فى البعد عنك وعن أزاهيرى الناضرة، ما عاد يجدى أن أناجيك، أو أناديك، وأنادى تلك الأزاهير المتفتحة فى حديقة قلبى، فالعمر يمضى سريعا، وحريق الشوق يزداد اشتعالا مع كل لحظة تمر من عمرى، والأنين مع الحنين يزداد يوما بعد يوم، ولحظة بعد لحظة،

والحزن يهاجمنى بلا رحمة، وبلا هوادة، يمزق أحشائى تمزيقا، يا من هجرت القلب الجريح ماذا تبتغين؟ لماذا تقتلين بعد هذا التعذيب؟..

يا من أحببتك إليك أقدم هذه الصرخة المدوية فى سماء الأرض المقدسة.. إننى غريب بعيد عن الوطن المنكوب المنهوك، معزول عن الأهل والأحباب، وعن الإخوة والأصدقاء، تمتلكنى انسيابات محيرة، وانطباعات غريبة، فأسبح بعيدا عن ذاتى فى عالم الحقيقة، وفى بحار المتناقضات.. ولعنتى المشتعلة، ولوعتى المحرقة، وأشواقى الملتهبة، وعواطفى الجياشة، وثرثرتى الجنونية الحنونية، وراحتى النفسية والشخصية، وهلهلتى الروحية والملكوتية، وحبى اللامحدود واللامتناهى، إننى يا من أحببتك بشدة وباندفاع غير محدود، أعيش فى عالم مغلق مفتوح، يكتنفنى فيه صمت هائل عميق، مرهف مرهق مخيف، وتسحقنى فيه برودة شديدة صماء، وترهقنى فيه أعباء فادحة مميتة، وتقتلنى رصاصة طائشة فى هذا الاغتراب القاتل، والانتظار الأشد من القتل، كلما تراجعت اقتربت من النهاية، وكلما تقدمت مت قبل أن يحل أجلى المحتوم، فأسرعى يا من أحببتك لإنقاذى، وإنقاذ حياتى التى يداهمها القلق المؤرق، والملل الدائم، إن حياتى حائرة داخل هيكلى تبحث عن مخرج..

بعد وداعك بالأمس تطلع فى كل الوجوه الحبيبة فلا أجد فيها وجهك الجميل، فتأخذنى الحسرة التى تقتلنى كل لحظة.. إننى حائر ثائر بين الحسرة القاتلة والوداع الأليم، إننى تائه بين حب الحبيب، والحنين إلى المحبوب، بك وحدك يا أحمد تتحرك كل مشاعرى بهذا الطوفان العاصف، وفى حضرتك يا حبيبى أحمد تعصف بى الأشواق والأشواك، وبعد وداعك بالأمس أحدق فى كل الوجوه بلا

وجه، وأرقص كالمذبوح بلا ساق، وأجرى نحوك بلا قدم، وقد خاطبتك فى التى هى أنت، فأنت وهى واحد، تم حله فى هيكلين.. كبير وصغير..

فى عقلى تدور أفكار حولك وأنت راحل، وفى قلبى تفيض أحاسيس نحوك وأنت بعيد، وفى عيونى يلمع بريق من عيونك، وعلى شفتى تنطلق كلمات من كلامك دون تنميق أو تلفيق..

إننى ذلك الذى يمضى ليله ساهرا بهمومك، أكتب إليك بين طيات هذه الهموم، وتحت زخات مطر الدموع، أكتب إليك على سطح القمر فى الأعالى، وتحت الماء فى البحار، أكتب إليك ضاحكا وباكيا، شاكيا وراضيا، أكتب إليك فى كل الأمكنة والأزمنة، هكذا أنا لأنى أحبك، لأنى والدك، أبحث فيك عن روحى ووطنى، وأحدق فيك باحثا عن ذاتى وكيانى..

رعاك الرحمن راحلا ومقيما، ورعى أهلك ما أقاموا وما رحلوا، وأظلك الله بغمام رحمته الواسعة، لك حبى وودى وحنانى.. الوداع.. الوداع.. وإلى اللقاء.

اشتقت إليك فعلمنى ألا أشتاق

علمنى كيف يموت الحب وتنتحر الأشواق

**والدك محمد أمان صافى**

**جدة يوم السبت**

**١٤١٥/١/١٠هـ = ١٣٦٣/٧/١٤هـ ش = ١٩٨٤/١٠/٦م**